تحريف القرآن الكريم بين دعاوى الشيعة ومطاعن المستشرقين

The Qur’an’s Perversion between Shiite and Orientalist claims

طلحي عامر[1*]، بودقزدام عمران[2]
[1] جامعة الجزائر 1 (الجزائر)، مخبر مناهج البحث في العلوم الإسلامية ومقاصدها ومسالكها، ameur20talhi@gmail.com
[2] جامعة الجزائر 1(الجزائر)، Amraneabounacer@gmail.com

Talhi Ameur [1*], Boudgazdam Amrane [2]
[1] Alger 2 University (Algeria) & [2] Alger 2 University (Algeria)

تاريخ الاستلام:29 /2022/10 تاريخ القبول:2022/11/22 تاريخ النشر:2023/01/25

ملخص:

لم يَحْظَ كتابٌ على وجه الأرض باهتمام الناس بمثل ما حظي به القرآن الكريم، آخر الكتب السماوية، اختصه الله بالحفظ، ذلك أنّ الكتب السماوية السابقة نالتها أيدي التحريف لأنّ الله وكَلَ حفظها إلى أهلها، فضيّعوا ما وُكِل إليهم، ولو أنّ القرآن وُكل حفظه إلى أهله لضاع. لكنّ المستشرقين طعنوا في القرآن، فقالوا إنّه لم يَسْلَم هو أيضا من التحريف، بل إنّ الشيعة يُنسَبُ إليها دعوى تحريف القرآن الكريم، وإن تباينت خلفياتهم مع خلفيات المستشرقين. وتأتي هذه الدراسة لبيان حقيقة نسبة هذه الدعاوى والمطاعن لأصحابها لا للرد والنقض، فالقرآن أعلى مقاما من ذلك، ونصه لم يتغير ولن يتغير عبر الأزمان بحفظ الله له.

والسؤال المطروح: ما مدى صحة نسبة هذه المطاعن والدعاوى لأصحابها؟

الكلمات المفتاحية: القرآن، محفوظ، تحريف، الشيعة، الاستشراق.

Abstract:

No book on earth received people’s attention like the Qur’an. Since it is the last of the heavenly books, God has afforded it special preservation and care. By contrast the entire previous heavenly books had been distorted and contorted by its people. However, some orientalists claimed that Qur’an is also not spared from distortion by crediting teams such as the Shiites who perverted the Qur’an.

This study is an attempt to discredit these claims by stressing that the Qur’an is higher than that, and its text will not change over time. It is ander the permanent protection of Allah.

The question is: How valid is the percentage of these plagues and claims for their owners?

Keywords: The Quran, saved, misrepresentation, Shia, Orientalism .

* طلحي عامر.

1. مقدمة:

لم يَتَوَانَ خصوم القرآن الكريم منذ بزوغ الإسلام في النيْل من هذا الكتاب، و لم يدّخروا جهدا في تشويه مصدر الإسلام الأول، فرموه بشتى أنواع الافتراءات ليُقوّضوا الاعتقاد به وبما جاء به.

ومن هذه الافتراءات فرية تحريف القرآن الكريم بعد موت الرسول صلى الله عليه وسلم، والتي تجسّدها دعاوى شيعية ومطاعن استشراقية، وهي قضية قديمة جديدة، تنوّعت الغايات من ترويجها، لكن الخطر واحد، هو التهوين من قيمة هذا الكتاب، والتشكيك بما جاء به، بل وبثّ الريب في إمكانية صلاحه ليكون مرجعا لهداية الناس، هذا من جهة، ومن جهة أخرى القدح في أمانة الصحابة رضوان الله عليهم الذين حملوا مسؤولية تبليغ هذا الدين.

إنّ المستشرقين يقوّون مطاعنهم بما شذّ وضعُف من آراء الفِرق كالشيعة التي يُنسب إليها دعاوى تحريف القرآن الكريم بعد موت سيد المرسلين.

والإشكاليّة المطروحة: هل شكّك علماء الشيعة بمختلف طبقاتهم وفرقهم في وثاقة النص القرآني الذي تم جمعه والموجود بين أيدينا اليوم أم هي مجرد دعاوى تُنسَبُ إليهم؟ وهل كان من مطاعن المستشرقين القول بتحريفه بعد موت الرسول صلى الله عليه وسلم؟ وهل يُعضّدون مطاعنهم بالدعاوى المنسوبة إلى الشيعة؟

ستكون إجابات هذه الأسئلة محور هذا البحث، وسيتم تسليط الضوء عليها من خلال منهج استقرائي في تتبع النصوص من مصادرها وجمعها وتوثيقها والإحاطة بها بقدر ما يحقق الغاية، ويخدم البحث العلمي، ويتثبت من صحة الدعاوى والمطاعن.

2. مصطلحات ومفاهيم:

من المعلوم أنّ الحكم على الشيء فرعٌ عن تصوره، ولَمّا كان من مفردات هذا البحث ما يحتاج إلى توضيح الاصطلاحات والمفاهيم كان من الضروري وضع تصورات صحيحة لهذا الحقل المفاهيمي لاستنتاج أحكام صحيحة

2 . 1. القرآن الكريم:

2 .1. 1. القرآن في اللغة:

المشهور بين أهل اللغة أنّ لفظ القرآن في الأصل مصدر مشتق من قرأ قراءة وقرآنا، فهو مصدر بمعنى القراءة ومنه قوله تعالى: [إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ] سورة القيامة/ الآية 17-18، أي فاتّبع قراءته، ثم نُقل من المصدرية إلى العَلَميّة.

قال الزبيدي في مادة قرأ:" قرأ: القرآنُ هو التنزيل العزيز أي المقروء المكتوب في المصاحف " (الزبيدي، 1965، صفحة 363)

ويرى بعض المستشرقين أنّ لفظ قرآن من قرأ بمعنى تلا، وأصله أعجمي في اللغة الآرامية ثم استعملت في العربية قبل الإسلام، وقد قبل بعض الباحثين المسلمين هذا الرأي ورفضه آخرون، ولا إشكال في ذلك فلئن كانت أعجمية فقد عُرّبت وأصبحت عربية.

أمّا عن لفظ القرآن واشتقاقاته فقد ورد ذلك في القرآن الكريم في مواضع كثيرة أحصاها العلماء، كما أحصوا لكلام الله أسماء عديدة أبرزها القرآن والكتاب والفرقان والذكر.

2 .1. 2. القرآن في الاصطلاح:

حاول العلماء تعريف القرآن ولكنهم لم يُعَرّفوه تعريفا واحدا وإنّما اختلفوا في عدّ أوصافه ضِمْنَ التعريف الجامع له. "والحد الحقيقي له هو استحضاره معهودا في الذهن أو مُشَاهَدا بالحس كأن تشير إليه مكتوبا في المصحف أو مقروءا باللسان فتقول: هو ما بين هاتين الدّفّتين" (القطان، 1995، صفحة 15).

فعرّفه الأصوليون والمتكلمون والفقهاء وأهل اللغة والعقيدة، ومِن تعريفات الأصوليين لتقريب معنى القرآن قولهم أنه "الكلام المعجزِ المنزَّل على النّبيّ صلى الله عليه وسلّم المكتوب في المصاحف المنقول عنه بالتواتر المتعبَّد بتلاوته" (الزرقاني، 1995، صفحة 21).

– فكلام الله قيدٌ يردّ مطاعن المستشرقين وغيرهم ممّن يدّعي أنّ القرآن كلامُ بشر أوجانّ أو ملَك.

– والمنزَّل على النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم يخرج به ما نزل على غيره، وما استأثر به سبحانه وما كان ترجمة للقرآن.

– والمكتوب في المصاحف قيدٌ يرد دعاوى الشيعة التي تشكك في وثاقة النص القرآني الموجود بين الدّفّتين.

– والمعجز المتعبَّد بتلاوته قيدان يخرجان الأحاديث القدسية فليست بمعجزة ولا متعبَّد بتلاوتها.

– والمنقول بالتواتر للاحتراز به عن غير المتواتر من منسوخ التلاوة والقراءات المشهورة والآحادية.

وعرّفه علماء العقيدة بقولهم:" إنّ القرآن كلام الله منه بدأ بلا كيفية قولا، وأنزله على رسوله وحيا، وصدّقه المؤمنون على ذلك حقا، وأيقنوا أنّه كلام الله تعالى بالحقيقة، ليس بمخلوق ككلام البريّة" (العز، 1988، صفحة 168)

وفيه ردٌّ على المعتزلة والمتكلمين، فالوصف بالتكلم من أوصاف الكمال التي وصف الله بها نفسه، وضد ذلك من أوصاف النقص. قال تعالى: [أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلاً] سورة الأعراف/ الآية 148

2 . 2. التحريف:

2 . 2. 1. التحريف في اللغة:

يذكر أصحاب المعاجم عدة معانٍ للتحريف يمكن جمعها في معنى التغيير والتبديل.

قال ابن منظور:" الحرف في الأصل الطرَف والجانب وحرف عن الشيء يحرف حرفاً وانحرف وتحرّف واحرورف: عَدَلَ، وإذا مال الإنسان عن شيء يقال تحرّف وانحرف " (ابن منظور، صفحة 9/41)

وعلى المعنى الأصلي جاء قوله تعالى: [وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ] سورة الحج/ الآية 11، أي على طرف وجانب من الدين، يعبدون الله على شك وضعف لا على ثقة، فهم مذبذبون لا يثبتون على حال.

يقال هذا شابٌّ منحرف لأنه غيّر طبيعته الأصلية، وانحرفت السيّارة عن الطريق لأنها مالت عن اتجاهها الأصلي. والأصل في لفظ التحريف الدلالة على المحسوس ثم انتقلت الدلالة فيما بعد إلى المجرد المعنوي كتحريف القرآن.

2 . 2. 2. التحريف في الاصطلاح:

تحريف الكلام في الاصطلاح إذا ما ربطناه بمعانيه اللغوية نستنتج أنّ معناه العدول والميل عن معنى اللفظ الظاهر إلى معنى آخر من دون قرينة أو دليل. كما نستنتج أنّ معناه أيضا إحداث التغيير على ألفاظ الكلام بالزيادة والنقصان.

وتحريف كلام الله: تحريفٌ معنوي وتحريفٌ لفظي، وكلا التحريفين وقع فيهما أهل الكتاب وتبعهم الشيعة الرافضة.

قال ابن القيّم:" والنوعان مأخوذان من الأصل عن اليهود، فهم الراسخون فيهما، وهم شيوخ المحرّفين وسلفُهم، فإنهم حرّفوا كثيرا من ألفاظ التوراة وما غلبوا عن تحريف لفظه حرّفوا معناه، ولهذا وُصفوا بالتحريف في القرآن دون غيرهم من الأمم، ودرج على آثارهم الرافضة فهم أشبه بهم من القذّة بالقذّة " (القيم، صفحة 216)

أما عن تحريف القرآن الكريم فلا نزاع في وقوع تحريف معانيه لكن الخلاف في تحريف ألفاظه.

وبيّن ابن عثيمين ذلك بقوله:" الأول: تحريفٌ لفظي يتغير معه المعنى كتحريف بعضهم قولَه تعالى: [وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمًا] سورة النساء/ 164، إلى نصب لفظ الجلالة، ليكون التكليم من موسى. الثاني: تحريفٌ لفظي لا يتغير معه المعنى كفتح الدال من قوله تعالى: [ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ] سورة الفاتحة/ 01، وهذا في الغالب لا يقع إلا من جاهل إذ ليس فيه غرض مقصود لفاعله غالبا. الثالث: تحريف معنوي وهو صَرْفُ اللفظ عن ظاهره بلا دليل" (العثيمين، صفحة 16).

2 . 3. الشيعة:

2 . 3. 1. الشيعة في اللغة:

المعنى اللغوي العام للشيعة: المناصرة والاتباع والموالاة، كما يطلق على الفرقة التي تجتمع على عقيدة أو رأي.

قال ابن منظور:" والشيعة القوم الذين يجتمعون على الأمر ... والشيعة أتباع الرجُل وأنصاره وجمعها شِيَعٌ وأشياعٌ جمع الجمع ويقال شايعه كما يقال والاه... وأصل الشيعة الفرقة من الناس" (ابن منظور، الصفحات 188-8/189)

وعلى هذا الأصل –حسب السياق اللغوي المستعمل عادة- لم تقتصر كلمة الشيعة في بداية الأمر على فرقة معينة أو مجموعة من الناس، فبالرغم من أنّ شيعة علي بن أبي طالب اشتهروا بها فقد أُطلقت إطلاقات عدة كشيعة العثمانية المطالبين بثأر عثمان، وشيعة بني مروان الموالون للدولة الأموية، وشيعة بني العباس أنصار الدولة العباسية والذين يوالونها.

2 . 3. 2. الشيعة في الاصطلاح:

يصطلح الشيعة أنفسهم على أنّ معنى الشيعة مَن اتبعوا عليّاً ابن عم رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ووالوه واعتقدوا بأحقّيته في الإمامة والخلافة من الصاحبين أبي بكر وعمر.

قال النوبختي –من أعلام الشيعة في القرن 03ه-:" الشيعة هم فرقة علي بن أبي طالب عليه السلام المسمون بشيعة علي عليه السلام في زمان النبي صلى الله عليه وسلم وبعده معروفون بانقطاعهم إليه والقول بإمامته" (النوبختي، 2012، صفحة 51)

وفي هذا النص يحدد النوبختي بدايات الشيعة وأنها كانت منذ زمن النبي صلى الله عليه وسلم بل هو من غرس بذرة التشيع بالحث على حب عليّ وموالاته، والوصية بإمامته.

وزاد المفيد –ت 413ه–في التعريف بفرقته فقال:" أتباع أمير المؤمنين صلوات الله عليه على سبيل الولاء والاعتقاد لإمامته بعد الرسول صلوات الله عليه وآله بلا فصل، ونفي الإمامة عمّن تقدّمه في مقام الخلافة، وجعله في الاعتقاد متبوعا لهم غير تابع لأحد منهم على وجه الاقتداء" (المفيد، أوائل المقالات في المذاهب والمختارات، 1993، صفحة 35) والمراد بلا فصل: أنّ الشيعي يعتقد أنّ عليّا رضي الله عنه هو الخليفة بعد الرسول صلى الله عليه وسلم مباشرة بلا فصل، وهذا يدل على إنكار صحة الخلفاء الثلاثة.

ويعرّفهم الشهرستاني فيقول:" شايعوا عليا رضي الله عنه على الخصوص، وقالوا بإمامته وخلافته ... واعتقدوا أنّ الإمامة لا تخرج من أولاده ... وثبوت عصمة الأنبياء والأئمة" (الشهرستاني، 1993، صفحة 169)

وقد أضاف الشهرستاني معتقدا للشيعة وهو قولهم باختصاص الإمامة بأولاد عليّ رضي الله عنه، وبعصمة الأوصياء. وأما عند المستشرقين، فنجد جولد تسيهر يربط الشيعة بمسألة ولاية الحكم فهم عنده:" الحزب المناصر لآل البيت وقد شايع في عهد الخلفاء الأُول حقوق البيت النبوي في الخلافة" (تسيهر، العقيدة والشريعة في الإسلام، 1959، صفحة 195)

وأصول الشيعة ترجع إلى عبد الله بن سبأ اليهودي على رأي علماء السنة وهو " أول من شهر القول بفرض إمامة علي" (النوبختي، 2012، صفحة 58)، وما معتقد الرجعة عن معتقد اليهود ببعيد.

2 .4. الاستشراق:

2 .4. 1. الاستشراق في اللغة:

لم تَرِد كلمة الاستشراق في المعاجم اللغوية القديمة، وهي مشتقة من مادة شَرَقَ. يقال:" شتّان بين مُشرّق ومُغرّب. وشرّقوا: ذهبوا إلى الشرق أو أتوا إلى الشرق" (ابن منظور، صفحة 8/173)

واستشراق على وزن استفعال، والسين والتاء للطلب أي طلب الشرق، وبعض المصادر اللغوية الحديثة تذكر أنّ:

"استشرق: طلب علوم أهل الشرق ولغاتهم -مُوَلَّدة عصرية- يقال لمن يُعنى بذلك من علماء الفرنجة" (رضا، 1959، صفحة 3/310).

2 .4. 2. الاستشراق في الاصطلاح:

يعرّف المستشرقون الاستشراق بأنّه:" علم الشرق أو علم العالم الشرقي " (بارت، 2011، صفحة 17). ويزيده إدوارد سعيد توضيحا بقوله:" فالاستشراق أسلوب من الفكر قائم على تمييز وجودي ومعرفي بين الشرق والغرب ... بوصفه نقطة الانطلاق لسلسلة محكمة الصياغة من النظريات والملاحم والروايات والأوصاف الاجتماعية والمسارد السياسية التي تتعلق بالشرق وسكانه وعاداته وعقله" (إدوارد، 2005، صفحة 38).

كما يُذكر في المعنى الاصطلاحي للاستشراق أنّه:" طلب علوم الشرق واتجاهٌ للتخصص في معرفتها، والمستشرق هو المتخصص في علوم الشرق وحضارته وآثاره وفنونه" (النبهان، 2012، صفحة 11)

هذا هو المعنى العام للاستشراق أي دراسة الشرق كله أقصاه وأدناه ووسطه في جميع تراثه: لغاته وآدابه وتاريخه وحضاراته وأديانه.

أما معناه الخاص، فيراد به تلك:" الدراسات الغربية المتعلقة بالشرق الإسلامي" (زقزوق، 1989، صفحة 24)

ومن خلال ما سبق من تعريفات للاستشراق، وتحديد موضوعه وأسبابه، نستنتج بدايات الاستشراق ودوافعه،" فإنّ الدوافع للبدايات المبكرة للاستشراق كانت تتمثل في تاريخ الصراع بين العالم النصراني الغربي في القرون الوسطى والشرق الإسلامي على الصعيدين الديني والإيديولوجي" (السايح، 1996، صفحة 21)

هذا ما جعل العالم النصراني الغربي يهتم بتعاليم الإسلام وعاداته وجميع تراثه من خلال الاحتكاك الأوربي الأول بالشرق الإسلامي في السلم والحرب على حدٍّ سواء.

3. تحريف القرآن الكريم دعاوى شيعيّة:

تُنسَب للشيعة دعاوى مفادها أنّ التحريف في القرآن الكريم وقع بعد وفاة النبي محمد صلى الله عليه وسلم، لكنّ حقيقة هذه الدعاوى تنكشف بالرجوع إلى مصادر القوم، فهي الحَكَم والفيصل تقضي إما بإثبات هذه الدعاوى أو إنكارها، إذ من الممكن أن يكون هذا ليس قولا واحدا عند كل الشيعة بمختلف طبقاتهم وفرقهم، فالنصوص الثابتة في مصادرهم تكون المقررة في هذه القضية، والدعاوى إن لم تكن عليها بيناتٌ أبناؤها أدعياء.

3 . 1. دعاوى الشيعة في المصادر الشيعية:

دعوى تحريف القرآن الكريم المنسوبة إلى الشيعة تقوم على أنّ هذا الكتاب اعتراه النقص والزيادة في زمن الصحابة بعد موت الرسول صلى الله عليه وسلّم وأنّ القرآن المحفوظ من أي تغيير هو بحوزة عليّ رضي الله عنه والأئمة من بعده، ولبيان حقيقة نسبة هذه الدعوى لا بد من الرجوع إلى مصادر الشيعة، ومن رواياتهم:

-ما رواه العيّاشي -ت320ه-:" لو قد قُرئ القرآن كما أُنزل لألفيتنا فيه مسمّين ... لولا أنّه زيد في كتاب الله ونقص منه ما خفي حقنا على ذي حِجا " (العياشي، 1991، صفحة 1/25)

-وما جاء عند المفيد -ت 413ه-:" واتفقوا -أي الإمامية- على أنّ أئمة الضلال -أي الصحابة- خالفوا في كثير من تأليف القرآن، وعدَلوا فيه عن موجب التنزيل" (المفيد، أوائل المقالات في المذاهب والمختارات، 1413هـ، صفحة 46)

-ما رواه أحمد بن عليّ الطبرسي -أحد أعلام القرن 6ه- من قصة جمع عليّ للقرآن بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم:" فوثب عمر وقال: يا عليّ اردده فلا حاجة لنا فيه ... فلما استُخلِف عمر سأل عليّا أن يدفع إليهم القرآن فيحرّفوه فيما بينهم ... إنّ القرآن الذي عندي لا يمسه إلا المطهرون والأوصياء" (الطبرسي، 1981، صفحة 1/156).

3. 2. دعاوى الشيعة في الكتابات الاستشراقية:

تزخر الكتابات الاستشراقية بآراء الفرق الإسلامية خاصة الشاذة منها، ولم تغفل عن مسألة غاية في الأهمية، وهي موثوقية النص القرآني العثماني، فالمستشرقون يوردون فرية تحريف القرآن الكريم، وتارة يعززون رأيهم من دون نقد لما يُنسب إلى الشيعة من القول بتحريف القرآن الكريم بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم، ومن دون تفصيل بين فرق الشيعة وطبقاتهم من المتقدمين والمتأخرين، وتارة ينتقدون هذه الفرية. ومن ذلك:

-أورد المستشرق المجري جولد تسيهر -ت 1921م- دعوى الشيعة القائلة بتحريف القرآن فقال: " إن كان الشيعة قد رفضوا الرأي الذي ذهبت إليه طائفة متطرفة منهم، من أنّ القرآن المأثور لا يمكن الاعتراف به مصدرا للدين بسبب الشك في صحته وبراءته من المآخذ، فإنهم قد تشككوا على وجه العموم منذ ظهورهم في صحة صياغة النص العثماني" (تسيهر، مذاهب التفسير الإسلامي، 1955، صفحة 293).

-وبيّن المستشرق الألماني نولدكه -ت 1930- دوافع هذه الدعوى فقال: " فهم إذ لم يجدوا القداسة التي ينسبونها إلى علي وأسرته يُعبَّر عنها في أيّ موضع في القرآن، رموا أبا بكر وعثمان بتهمة تعديل هذه المواضع أو حذفها " (نولدكه، 2004، صفحة 2/322)

-أما المستشرق الفرنسي بلاشير -ت 1973- فقد حلّل تلك الدعوى تحليلا سياسيا مثل جولد تسيهر فقال: " إنّ الانتقادات الشيعية للمصحف ليست عقدية لكنها من وحي التطلعات السياسية الرامية إلى تقديم العلويين وحقهم الشرعي بالخلافة " (بلاشير، 1974، صفحة 36)

3 . 3. دعاوى الشيعة في الكتابات الإسلامية:

تعرِضُ كتابات المسلمين -المتقدمين والمتأخرين- دعوى تحريف القرآن المنسوبة إلى الشيعة، ومن أمثلتها:

-ما أورده الإمام الأشعري -ت330ه- من اختلاف الروافض في القرآن على ثلاث فرق، فقال: "واختلف الروافض في القرآن: هل زيد فيه أو نقص منه وهم ثلاث فرق -سقط ذكر الفرقة الثانية من الكتاب- فالفرقة الأولى منهم: يزعمون أنّ القرآن قد نُقِص منه، وأما الزيادة فذلك غير جائز أن يكون قد كان، وكذلك لا يجوز أن يكون قد غُير منه شيء عما كان عليه، أما ذهاب كثير منه فقد ذهب كثير منه، والإمام يحيط به علما ... والفرقة الثالثة منهم وهم القائلون بالاعتزال والإمامة: يزعمون أنّ القرآن ما نقص منه ولا زيد فيه " (الأشعري، 1990، الصفحات 119-1/120).

-وذكر الملطي -ت 377ه- عن الفرقة الثانية عشرة من الإمامية أصحاب هشام بن الحكم -ت 190ه- يُعرفون بالهشامية وهم الرافضة:" أنّ القرآن نُسخ وصُعد به إلى السماء لرِدّهم -أي الصحابة- " (الملطي، 2007، صفحة 35)

-ويورد الإمام الباقلاني -ت403ه- زَعْمَ التحريف ويسمي الفرقة فيقول: "وزَعَمَ قوم من الرافضة أنّ القرآن قد بُدّل وغُير ... وأننا لا ندري لعل الذي في أيدينا من القرآن أقل من عُشر ما أنزله الله " (الباقلاني، 2001م، صفحة 1/67).

- أما الجابري -ت 2010م- فيعرض أهم كتاب للشيعة عند أشهر المتأخرين منهم يثبت هذه الدعوى صراحة دون أن يرجع عنها، فيقول:" تؤكد بعض المراجع الشيعية المعتبرة كالسيد الحاج ميرزا حسين بن محمد تقي النوري الطبرسي المتوفى سنة 1320ه وهو من علماء النجف في كتاب له سماه فصل الخطاب في

إثبات تحريف كتاب رب الأرباب أن القرآن كما هو في المصحف الذي بين أيدينا قد زيد فيه ونقص منه " (الجابري، 2006م، صفحة 1/266)

3. 4. نفي بعض علماء الشيعة لدعوى تحريف القرآن:

إنّ دعوى تحريف القرآن الكريم بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم ثابتة في تراث الشيعة، وعند كبار علمائهم، مقيدة في مصادرهم، لا يستطيع أحد إنكارها أو تأويلها، لكنها ليست قولا واحدا فصلا عند كل علماء الشيعة بمختلف طبقاتهم وفرقهم، إذ أنّ مِن علمائهم مَن ينكر هذه الدعوى وينفيها ولا يقول بها، ويؤمن بأنّ القرآن محفوظ و لم يبدّل و لم يغير، وهو ما بين الدفتين، وهذا أيضا ثابت عند الشيعة باعتراف علماء السنة الذين أسندوا هذه الدعوى إلى الروافض الإمامية الإثني عشرية دون غيرهم.

وممّن شَهِدَ بالبراءة من القول بالتحريف:

-ابن بابويه القمي -ت 381ه- شيخ الشيعة في عصره والملقب بالصدوق الذي أعلن اعتقاده بقوله: "اعتقادنا أنّ القرآن الذي أنزله الله تعالى على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم هو ما بين الدّفّتين، وهو ما في أيدي الناس ليس بأكثر من ذلك ... ومن نسب إلينا أنا نقول إنه أكثر من ذلك فهو كاذب " (بابويه، 1993، صفحة 84).

-الفضل بن الحسن الطبرسي -ت 548ه- الذي حكى أقوال الشيعة وأثبت صحة القرآن فقال: "فأما الزيادة فيه -يعني القرآن- فمجمع على بطلانه، وأما النقصان منه: فقد روى جماعة من أصحابنا وقوم من حشوية العامة أنّ في القرآن تغييرا أو نقصانا، والصحيح من مذهب أصحابنا خلافه...ومن خالف من الإمامية والحشوية لا يُعتد بخلافهم " (الطبرسي ا.، 2005م، الصفحات 14-15)

-ابن طاووس علي بن موسى -ت 664ه- الذي أقرّ بأنّ المصحف العثماني تمّ بموافقة عليّ رضي الله عنه فقال: "ثم عاد عثمان جمع القرآن برأي مولانا علي بن أبي طالب " (الحسيني، 1379هــ، صفحة 542).

-محمد جواد البلاغي -ت 1352ه- الذي نفى فرية تحريف القرآن ووصف رواياتها بالواهية الشاذة فقال: "ولئن سمعت في الروايات الشاذة شيئا في تحريف القرآن وضياع بعضه فلا تُقِم لتلك الروايات وزنًا، وقل ما يشاء العلمُ في اضطرابها ووهنها وضعف رواتها ومخالفتها للمسلمين وفيما جاءت به في مروياتها الواهية من الوهن " (البلاغي، الصفحات 18-19)

4. تحريف القرآن مطاعنٌ استشراقية:

يطعن المستشرقون في القرآن الكريم بمطاعن كثيرة، ولا يقفون عند حد من المطاعن، فلمجرد احتمال عقلي يَثْبُت عندهم يسعون لتأكيده بشتى الوسائل، ولذا فليس ببعيد أن يرموا القرآن الكريم بالتحريف بعد

موت الرسول صلى الله عليه وسلم لأنه احتمال وارد عندهم، بل هو حاصل في كتبهم -التوراة والإنجيل- وإن أنكروا، ولا مانع عندهم من أن يحصل الأمر نفسه للقرآن الكريم.

4 .1. مطاعن المستشرقين الواردة في الكتابات الاستشراقية:

تحريف القرآن الكريم بعد موت الرسول صلى الله عليه وسلم ليس قضية جديدة، بل هي قضية قديمة طرحها النصارى المبشرون والمستشرقون المتعالمون وغيرهم، ولهم في ذلك دوافع تدفعهم، وهي تصبو في جملتها إلى التهوين من القرآن الكريم، ورفع قداسته، وإثبات بشريته، وتسويته بالكتب السماوية السابقة التي كانت عرضة للتحريف. ومما جاء في الكتابات الاستشراقية تمثيلا لا حصرا:

- قول المستشرق الإنجليزي جرجس سال -ت 1736م- بأنّ القرآن قد تعرَّض للزيادة والنقص على عكس التوراة والانجيل. يقول سال: "ولو قيل لهم أنّ قرآنهم قد حُرّف بالزيادة والحذف لأنكروا ذلك وأكبروا دعوى من يقول بتحريفه حتى يأتي بحجة لإثبات ما ادعاه مع أنهم ليس لهم من الأدلة على سلامة كتابهم منه مثل ما لليهود والنصارى على سلامة التوراة" (سال، 1914، صفحة 377)

-وأورد المستشرق الألماني نولدكه تشكيك المستشرقين في وثاقة النص القرآني وذكر أبرز أسمائهم وروّادهم فقال: " عبّر بعض العلماء المسيحيين الغربيين عن شكهم بأنّ بعض التحريفات أُدخلت عمدا إلى نص القرآن في نسخة عثمان والنسخة التي اعتمدت عليها، أول من عبّر عن هذا الشك المستشرق الفرنسي سيلفستر دي ساسي ... بعدها اتخذ فايل في هايدلبرغ هذا الرأي ووسّعه " (نولدكه، 2004، صفحة 2/311)

- أما عن موقف نولدكه الشخصي من تحريف القرآن الكريم فهو غير واضح، فأحيانا يثبت التحريف كباقي المستشرقين سواء بالتلميح أو التصريح، وأحيانا ينكره.

ومما شهِد به قوله:" نملك بعض المعلومات عن مقاطع قرآنية ضاعت من دون أن يبقى لها أي أثر " (نولدكه، 2004، صفحة 1/228).

4 .2. احتجاج المستشرقين بدعاوى الشيعة:

يحتج المستشرقون في بعض شبههم التي تطعن وترى تحريف القرآن الكريم بدعاوى منسوبة إلى الشيعة تعزيزا لرأيهم، وهذه الشبهة قديمة جديدة، فما أشبه الليلة بالبارحة.

وقديما احتج النصارى على الإمام ابن حزم -ت 456ه- بدعوى الشيعة في تحريف القرآن الكريم فقال: " واعترضوا أيضا بأن قالوا كيف تحققون نقلكم لكتابكم وأنتم مختلفون أشد ... فإنّ الروافض يزعمون أنّ أصحاب نبيكم بدّلوا القرآن وأسقطوا منه وزادوا فيه " (حزم، 1996م، الصفحات 209-2/210)

وأورد الأسترالي آرثر جفري -ت 1959م- رواية الشيعة بخصوص جمع عليّ رضي الله عنه للقرآن الكريم

فقال: "زعم بعض الكتبة أنّ المراد بالجمع في هذا الحديث الحفظ، ولكنا لا نوافق على قولهم هذا لأنّ عليّا حمل ما جمعه على ظهر ناقته وجاء به إلى الصحابة " (السجستاني، 1936م، صفحة 5)

كما أن المستشرق الفرنسي ألفريد لويس دي بريمار –ت 2006م- أورد الرواية نفسها لشهرتها فقال: "رُوى مثلا أنّ علي بن أبي طالب صهر محمد قال بأنه جمع القرآن في مصحف بعد موت النبي مباشرة.. بصرف النظر عن هذه المراوغات فإنّ كلمة جمع تعني بالفعل الجمع المادي لنصوص مكتوبة في مجلد مترابط الصفحات وهو ما دُعي بالمصحف " (بريمار، 2009م، صفحة 319)

4 .3. مطاعن المستشرقين في الكتابات الإسلامية:

تناولت كتابات المسلمين –المتقدمين والمتأخرين- طعن المستشرقين في القرآن بالتحريف بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم، وعرضت شبهاتهم وأحالتها على النقد لتؤكد موثوقية النص القرآني من جهة وزيف هذا الطعن من جهة أخرى.

ومن كتابات المتقدمين ما ذكره الإمام ابن حزم عن مناظراته للنصارى واحتجاجهم بدعاوى الشيعة في تحريف القرآن الكريم.

ومما جاء أيضا قول الإمام الباقلاني:" قال أهل الإلحاد: فكل هذا يدل على اضطراب نقل القرآن ... ولا يوقف على صحيحه من فاسده، وناقصه من زائده " (الباقلاني، 2001م، صفحة 1/72)

أما كتابات الباحثين المتأخرين، فممّا جاء عند إدريس مقبول في رؤيته الإسلامية للدراسات الاستشراقية قوله : " لقد فتح نولدكه الطريق أمام القول بتحريف القرآن ... وإذا كان ما قدّمه المستشرق نولدكه قد تضاءل قيمة نظرا لتردده في الأمر وعدم وضوح الرؤية له فيه، فإنّ ما كتبه المستشرق بول بكثير من عدم التورع لا يمكن أن يُتهاون فيه " (مقبول، الدراسات الاستشراقية للقرآن الكريم، .، صفحة 29).

مما أورده الباحث عمر بن إبراهيم رضوان من أسماء المستشرقين وآرائهم حول القرآن الكريم قوله في هذه الشبهة: "من بين الشبه التي أثاروها شبه حول موضوع النص القرآني من حيث كونه ثقة أم يمكن الشك في سلامته بزيادة أو نقصان، ومن بين من أثار هذه الشبهة أصحاب دائرة المعارف الإسلامية وتيودور نولدكه واجنتس جولد تسيهر وريجي بلاشير ورتشارد بل وغيرهم " (رضوان، 1992، صفحة 1/407)

4.4. نفي بعض المستشرقين للطعن في القرآن بالتحريف:

إن كان الحق ما شهدت به الخصوم فإنّ هناك مِن المستشرقين مَن أنصفوا القرآن الكريم وهذه بعض أسمائهم:

-يشهد المستشرق البريطاني روم لاندو –ت 1974م- بسلامة القرآن من التحريف فيقول: " كُلّف كاتب الوحي زيد بن ثابت بجمع الآيات القرآنية في شكل كتاب، وكان أبو بكر قد أشرف على

هذه المهمة، وفيما بعد إثر جهد مستأنف بُذل من قِبَل الخليفة عثمان بن عفان، اتخذ القرآن شكله التشريعي النهائي الذي وصل إلينا سليما لم يطرأ عليه أي تحريف " (لاندو، 1977م، صفحة 299)

وتعترف المستشرقة الإيطالية لورا فيشيا فاغليري –ت 1989م– ببعد القرآن عن التبديل والتعديل فتقول: " لايزال لدينا برهان آخر على مصدر القرآن الإلهي في هذه الحقيقة: وهي أنّ نصه ظل صافيا غير محرّف طوال القرون التي تراخت ما بين تنزيله ويوم الناس هذا، وأنّ نصه سوف يظل على حاله تلك من الصفاء وعدم التحريف " (فاغليري، 1981م، الصفحات 58-59)

–أما نولدكه فنجده إضافة إلى إثبات التحريف فإنه ينكره أحيانا أو أخيرا كقوله بعد الرد على المستشرق فايل: " ثمة أخيرا العديد من الاعتبارات التاريخية العامة لصالح عثمان، فرغم أنّ الخليفة العجوز كان أداة مطواعة في أيدي أقاربه، فقد كان أيضا رجلا تقيا مؤمنا، يُستبعد أن يقوم بتحريف كلام الله ... كل ما ذُكر يؤيد كون نص مصحف عثمان كاملا وأمينا بأكبر قدر يمكن توقعه " (نولدكه، 2004، الصفحات 320-2/321)

–ويؤكد المستشرق البريطاني بودلي –ت 1970م– على خلوّ القرآن الكريم من التبديل والتغيير على مرِّ القرون بخلاف التوراة والإنجيل، كما يصرّح بأمانة كاتب الوحي زيد بن ثابت أحد أبرز حُفّاظ القرآن الكريم فيقول:" الحسنة الوحيدة في طريقة زيد أنّها كانت أمينة فوق الشبهات، فلم يفعل شيئا ليضيف فقرات، أو يضع جمل ربط، أو يحذف أو ينسخ تفاصيل تشين الإسلام، لقد عمل بإخلاص لا يمكن تصوره ... المهم أنّ القرآن هو العمل الوحيد الذي عاش أكثر من اثني عشر قرنا دون أن يُبدَّل فيه، ولا يوجد شيء يمكن أن يُقارَن بهذا أدنى مقارنة، لا في الديانة اليهودية، ولا في الديانة المسيحية " (بودلي، 1989، صفحة 230...232)

5. الخاتمة:

تَخْلُصُ هذه الدراسة إلى النتائج التالية:

–تحريف القرآن الكريم قضيّة قديمة جديدة، توردها المصادر الشيعيّة إثباتا كما هو في أصول عقائدهم، أو إنكارا من بعض عقلائهم، وتروّجها الكتابات الاستشراقية لتُحَوّلها من مجرد احتمال إلى حقيقة مُسَلّمة إلا فيما ندر، وتحفل بها الكتب الإسلامية نفيا وانتصارا لهذا الكتاب الرباني.

–الدعاوى المنسوبة إلى الشيعة بخصوص تحريف القرآن الكريم لها ما يؤكدها في المصادر الشيعية، وإن تبرّأ بعضهم منها –تقية أو قناعة– أو تأوّل لها أو وجد لها محملا.

–دعوى تحريف القرآن الكريم بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم ليست اعتقاد جميع علماء الشيعة بمختلف طبقاتهم وفرقهم بدليل النصوص الثابتة عنهم.

-تشكيك بعض فرق الشيعة في النص القرآني العثماني قدحٌ في الصحابة تتعمّده هذه الفرق، وهو طعنٌ في الدين كله، تُشتم رائحته من خلال عبد الله بن سبأ اليهودي.

-المطاعن الاستشراقية حول تحريف القرآن الكريم مبثوثة صراحة في كتاباتهم منذ البدايات باستثناء المنصفين منهم.

-هدف المستشرقين من إثارة قضية تحريف القرآن الكريم هو النيْل من مصدر المسلمين الأول وإثبات بشريته، والتشكيك في موثوقية النص القرآني، وإزالة القداسة عنه، وجعله كباقي الكتب السماوية في عرضته للتحريف مع ادعاء الموضوعية، واتباع أسلوب النقد العلمي في دراسة تاريخ القرآن الكريم.

-ينسب المستشرقون دعاوى تحريف القرآن الكريم إلى الشيعة عموما دون تحديد فرقة منها، بينما ينسب علماء السنة هذه الدعاوى إلى فرقها دون تعميم، وهذا هو العدل في القول والتوثيق، فشتان بين التلفيق والتوثيق.

تعتبر هذه الدراسة مساهمة في الانتصار لكتاب الله وعليه تكون الاقتراحات كالآتي:

-الحرص على التثبّت من الآراء والأقوال بالرجوع إلى مصادرها قبل القيام بنقدها، وهو منهج البحث العلمي الصحيح، فعلى الباحث أن يثبت العرش ثم ينقش.

-تجنب التعميم في إصدار الأحكام لأن فيه مجانبة الصواب.

-السعي في الذود عن كتاب الله بالتأليف والتدريس وغير ذلك.

-على الباحثين أن يحافظوا على قداسة القرآن الكريم في كل الأحوال، لأن ما يثار حول تحريف القرآن من المطاعن والدعاوى وما أشبه ذلك ما هو إلا إزالة لقدسيته.

-تعميق المعرفة بهذا الكتاب الرباني الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

-التصور الصحيح لخطر المواجهة بين المناوئين لكتاب الله والمنافحين عنه.

-تسخير كل الطاقات البشرية والوسائل العلمية للدفاع عن القرآن الكريم والتعريف به.

-غرس الثقة في نفوس المسلمين وبث اليقين في قلوبهم بأن القرآن هو ذلك الكتاب لا ريب فيه وهذا من خلال جميع القنوات الإعلامية والمحاضرات والدروس والمقررات.

6 . قائمة المراجع:

- ابن أبي العز. (1988). *شرح العقيدة الطحاوية* . بيروت، لبنان: المكتب الإسلامي، ط9، .
- ابن القيم. (بلا تاريخ). *الصواعق المرسلة* . الرياض: دار العاصمة، ج1.
- ابن بابويه. (1993). *الاعتقادات في دين الإمامة*. بيروت، لبنان: دار المفيد، ط2.
- ابن حزم. (1996م). *الفصل في الملل والأهواء والنحل*. بيروت، لبنان: دار الجيل، ط2.

- ابن طاووس الحسيني. (1379هـ). *سعد السعود*. إيران: مطبعة عترت، ط1.
- ابن منظور. (بلا تاريخ). *لسان العرب*. بيروت، لبنان: دار صادر.
- أبو داود السجستاني. (1936م). *كتاب المصاحف*. مصر: المطبعة الرحمانية، ط1.
- أحمد رضا. (1959). *معجم متن اللغة* . بيروت، لبنان: دار مكتبة الحياة.
- أحمد عبد الرحيم السايح. (1996). *الاستشراق في ميزان نقد الفكر الإسلامي*. القاهرة، مصر: الدار المصرية اللبنانية، ط1.
- ادريس مقبول. (.). *الدراسات الاستشراقية للقرآن الكريم*. :. .
- ادريس مقبول. (الدراسات الاستشراقية للقرآن الكريم في رؤية إسلامية).
- الأشعري. (1990). *مقالات الإسلاميين* . بيروت، لبنان: المكتبة العصرية.
- الباقلاني. (2001م). *الانتصار للقرآن*. بيروت، لبنان: دار ابن حزم، ط1.
- الشهرستاني. (1993). *الملل والنّحل*. بيروت، لبنان: دار المعرفة.
- الطبرسي. (1981). *الاحتجاج*. بيروت، لبنان: مؤسسة الأعليمي.
- العياشي. (1991). *تفسير العياشي*. بيروت، لبنان: مؤسسة الأعلمي، ط1.
- ألفريد لويس دي بريمار. (2009م). *تأسيس الإسلام بين الكتابة والتاريخ*. بيروت، لبنان: دار الساقي، ط1.
- الفضل بن الحسن الطبرسي. (2005م). *مجمع البيان في تفسير القرآن* . بيروت، لبنان: دار العلوم، ط1.
- المفيد. (1413هـ). *أوائل المقالات في المذاهب والمختارات*. قم، إيران: المؤتمر العالمي لألفية الشيخ المفيد.
- المفيد. (1993). *أوائل المقالات في المذاهب والمختارات*. بيروت، لبنان: دار المفيد.
- الملطي. (2007). *التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع*. القاهرة، مصر: المكتبة الأزهرية للتراث.
- النوبختي. (2012). *فرق الشيعة*. بيروت، لبنان: منشورات الرضا، ط1.
- بلاشير. (1974). *القرآن: نزوله، تدوينه، ترجمته وتأثيره*. بيروت، لبنان: دار الكتاب اللبناني، ط1.
- بودلي. (1989). *الرسول حياة محمد*. مصر: مكتبة مصر.
- جرجس سال. (1914). *مقالة في الإسلام*. مصر: المطبعة الانكليزية الأمريكانية، ط3.
- جولد تسيهر. (1955). *مذاهب التفسير الإسلامي*. القاهرة، مصر: مطبعة السنة المحمدية.
- جولد تسيهر. (1959). *العقيدة والشريعة في الإسلام*. مصر: دار الكتب الحديثة، ط2.
- رودي بارت. (2011). *الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الألمانية*. القاهرة، مصر: المركز القومي للترجمة.
- روم لاندو. (1977م). *الإسلام والعرب*. بيروت، لبنان: دار العلم للملايين.

- سعيد إدوارد. (2005). *الاستشراق(المعرفة-السلطة-الإنشاء)*. بيروت، لبنان: مؤسسة الأبحاث العربية، ط7.
- عمر بن إبراهيم رضوان. (1992). *آراء المستشرقين حول القرآن الكريم وتفسيره*. الرياض، المملكة العربية السعوية: دار طيبة، ط1.
- لورا فيشيا فاغليري. (1981م). *دفاع عن الإسلام* . بيروت، لبنان: دار العلم للملايين، ط5.
- محمد بن صالح العثيمين. (بلا تاريخ). *فتح رب البرية بتلخيص الحموية*.
- محمد جواد البلاغي. (بلا تاريخ). *آلاء الرحمن في تفسير القرآن*. بيروت، لبنان: دار إحياء التراث العربي.
- محمد عابد الجابري. (2006م). *مدخل إلى القرآن الكريم*. بيروت، لبنان: مركز دراسات الوحدة العربية، ط1.
- محمد عبد العظيم الزرقاني. (1995). *مناهل العرفان في علوم القرآن*. بيروت، لبنان: دار الكتاب العربي، ط1، ج1.
- محمد عبد العظيم الزرقاني. (1995). *مناهل العرفان في علوم القرآن*. بيروت، لبنان: دار الكتاب العربي، ط1، ج1.
- محمد فاروق النبهان. (2012). *الاستشراق*. الرباط، المملكة المغربية: المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة. إيسيسكو.
- محمد مرتضى الزبيدي. (1965). *تاج العروس من جواهر القاموس*. الكويت: مطبعة حكومة الكويت، ج1.
- محمود حمدي زقزوق. (1989). *الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري*. القاهرة، مصر: دار المنار، ط2.
- مناع القطان. (1995). *مباحث في علوم القرآن* . القاهرة، مصر: مكتبة وهبة، ط7.
- نولدكه. (2004). *تاريخ القرآن* . بيروت، لبنان: مؤسسة كونراد-أدناور، ط1.